من تاريخ الفن

لوحة النداء للصلاة



بقلم

أسماء صلاح

كاتبة وباحثة في علم الاجتماع
عضو هيئة تحرير دورية كان التاريخية
wasma_art@yahoo.com

كان المؤذن في القاهرة القديمة علامة من علاماتها البارزة التي أثارت اهتمام وتساؤلات الزائرين ، ولا سيما المستشرقين من هواة الفن ومحترفيه ، ومن بينهم الفنان الفرنسي الشهير جان ليون جيروم Jean-Léon Gérôme (١٨٢٤ - ١٩٠٤) رائد الواقعية في الرسم في القرن التاسع عشر ، الذي اهتم في العديد من لوحاته بتصوير بعض مظاهر الحياة في مصر ، وكان شغوفاً برسم المصلين أثناء أدائهم لفريضة الصلاة وكذلك اهتم بالمؤذن وكرر رسمه أكثر من مرة في لوحات متعددة.

ومن أجمل لوحاته لوحة:"النداء للصلاة" أو "المؤذن المصري" والتي رسمت عام ١٨٦٥ لمؤذن يرفع آذان العصر من فوق أحدي مآذن القاهرة القديمة في فصل الصيف ، بينما تلوذ المدينة حوله بالصمت. وفي هذه اللوحة نراه يهتم برسم المؤذن ، ونري مئذنة المسجد في الناحية اليمني من اللوحة لتملئ مقدمة اللوحة ،ومن أسفل نرى الكثير من مآذن القاهرة وبيوتها عن بعد.

وأهم ما يميز تلك اللوحة أن جيروم التقط منظر أمامي للمؤذن الذي اعتلى المئذنة للإعلان عن موعد الصلاة ، بينما ترك الفنان النصف السفلي للجانب الايسر للمدينة ومآذنها العالية وترك باقي المساحة اليسري للفراغ السماوي. وهنا نرى المؤذن وقد رسم بدقة غاية في البراعة ، يرتفع بقامته وبروحه نحو السماء مناديا للصلاة في خشوع. فالمؤذن في هذه اللوحة بملابسه التاريخية وصورته الجسدية وحالته النفسية يجعل من اللوحة مادة وثائقية كأغلب لوحات المستشرقين.

وقد اعتمد الفنان على تقسيم لوحته باستخدام نسبة تسمى بالنسبة الذهبية في تقسيم اللوحة ، حيث قسم لوحته طولياً إلى الثلث والثلثين ، الثلث الأيمن وفيه المئذنة والمؤذن والثلثين للمساحة الباقية. ثم قسمها عرضياً إلى الثلث والثلثين كذلك ، الثلث الأسفل للمدينة والثلثين أعلى للفراغ السماوي. ونراه قد عمد إلى وضع المؤذن في نقطة التقاء الخطين القاسمين للوحة ، أي بؤرة اللوحة وهي المكان الأهم على الإطلاق في اللوحة الفنية ، لأنها بمثابة نقطة جذب للعين المتأملة بل هي أول ما تقع عليه عين الناظر عندما يقف أمام هذه اللوحة.

وقد برع الفنان في اختيار ألوان اللوحة ، حيث انتقاها من مجموعة البنيات والتي يكثر استخدامها في رسم المدن القديمة التي يغلب البناء فيها بالحجر ، وابتعد عن استخدام الألوان الساخنة لأنها تشير إلى الحركات العنيفة ، بينما أراد أن يبرز فيها الجوانب الروحانية. وكذلك ابتعد عن الأزرق الصريح في تلوين السماء حتى لا يتنافر مع باقي ألوان اللوحة.

ومن الجدير بالذكر ؛ أن سعر لوحة المؤذن المصري تجاوز نصف مليون جنيه إسترليني ، فقد كانت من أهم القطع الفنية النادرة التي عرضت للبيع في مزاد عالمي بلندن يضم ٥٠ لوحة فنية تاريخية ، كما قدر خبراء المؤسسة العالمية قيمتها بما يتراوح بين ٤٥٠ ألف و ٥٠٠ ألف جنيه إسترليني. وقد بيعت بالفعل بـ ٥٠٥٤١٨ جنيه إسترليني لمشترى حرص على إخفاء هويته.